

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُسْنُ الْخَلْقِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، أَكْرَمَ الْإِنْسَانَ بِصُنُوفِ الْإِحْسَانِ، وَمَيَّزَهُ بِمَوْهَبَةِ الْفِكْرِ وَالْبَيَانِ، وَأَمَرَهُ بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْقَائِلُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١)، وَنَشَهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، ذُو الْخَلْقِ الْعَظِيمِ، حَثَّ عَلَيَّ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْأَخْلَاقَ وَالْقِيَمَ مِنْ أَرْوَاعِ مَا يَتَحَلَّى بِهِ أَفْرَادُ الْأُمَّمِ، وَبِهَذَا بُعِثَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ وَالرَّسُولُ الزَّكِيُّ، يَقُولُ ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ الْقُدْوَةَ الْمَجْسُودَةَ لِلْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ، يَعْلُو فِي سُمُوهِ عَلَى قِمَّةِ الْخَلْقِ، وَصَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ فِيهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وَمَنْ اقْتَدَى بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَحَقَّ الْمَوَدَّةَ وَالْأُلْفَةَ فِي الدُّنْيَا، وَنَالَ شَرَفَ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعُقْبَى، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا))، وَالنَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ تَعْتَرِيهَا النَّوَازِعُ وَتَقْلِبَاتُ الْأَحْوَالِ، وَتَتَأَثَّرُ بِمَا يَعْرِضُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْبَالِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ الْإِنْسَانُ إِلَى كَمَالِ الْخَلْقِ إِلَّا بِتَرْوِيضِ نَفْسِهِ وَتَهْذِيبِهَا، وَالسَّيْطَرَةَ عَلَى مَشَاعِرِهَا وَأَحَاسِيسِهَا، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ، الْمَلِيئَةِ بِالشَّدَّةِ وَالْكَرْبَةِ، فَمَنْ سَيَّطَرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ كَانَ مَالِكًا لَهَا قَائِدًا غَيْرَ مُنْقَادٍ، وَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى قَبْرِ فَقَالَ: ((اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي،

(١) سورة النين / ٤ .

(٢) سورة القلم / ٤ .

وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَآتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ؛ فَقَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ: ((إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى))، وَهَكَذَا تَظْهَرُ مَعَادِنُ النَّفْسِ الْأَبِيَّةِ وَمَدَى مَا تَتَحَلَّى بِهِ مِنْ رَفِيعِ الْخِلَالِ فِي عَصِيبِ الْأَحْوَالِ، فَتَبْهَرُ النَّفْسُ بِرَوَائِعِ الشَّمَائِلِ وَكَرِيمِ الْأَفْعَالِ، فِي حِينٍ تَتَسَاقَطُ النَّفْسُ الضَّعِيفَةُ لِتَتَفَعَّلَ مَعَ سَيِّئَاتِ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا هُوَ الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ بَعَيْنِهِ، فَقُوَّةُ النَّفْسِ لَا يُعْبَرُ عَنْهَا بِغَضَبٍ أَوْ سُلُوكِ سَيِّئٍ يَبْطِشُ بِهِ الْمَرْءُ وَيَتَسَلَّطُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))، فَالْتَعَسُّفُ الَّذِي يَجْلِبُ الْمَضْرَّةَ سُلُوكٌ يَرْفُضُهُ الْإِسْلَامُ، فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ اعْتِدَارَ فِتْنَةٍ مِنَ النَّاسِ بِضُغُوطَاتِ الْحَيَاةِ لِتَسْوِيعِ خُرُوجِهِمْ عَنْ طَوْرِ الْخُلُقِ الْحَسَنِ سُلُوكٌ لَا يَقْرَهُهُ الْإِسْلَامُ، وَالْمُسْلِمُ قَوِيُّ الْإِرَادَةِ، يَمْلِكُ زِمَامَ التَّحَكُّمِ بِمَشَاعِرِهِ وَعَوَاطِفِهِ، وَيُسَيِّطِرُ عَلَى صِرَاعَاتِ نَفْسِهِ وَنَزَوَاتِهَا الْخَارِجَةِ عَنِ الطَّبَعِ الْإِنْسَانِيِّ السَّلِيمِ، فَكَمْ مِنْ أَنْاسٍ فَقَدُوا أَرْوَاحَهُمْ وَأَزْهَقُوا نَفُوسَ غَيْرِهِمْ عِنْدَمَا أَسْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْغَضَبِ، وَكَمْ مِنْ أَسْرٍ تَشَتَّتَ أَفْرَادُهَا وَذَهَبَ رِيحُهَا، وَدَبَّ فِي أَرْجَائِهَا الشَّقَاقُ وَالْخِلَافُ بَعْدَ أَنْ أَعْرَاهَا الشَّيْطَانُ بِحُبِّ النَّتْفِي وَالْإِنْتِقَامِ، وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ خَسِرِ الرَّفِيقِ وَالصَّدِيقِ، بِسَبَبِ طَيْشِ الْكَلِمَاتِ وَالنُّطْقِ بِأَسْوَأِ الْعِبَارَاتِ، وَرُبَّمَا رَفَعَ الْعَصَا أَبٌ فِي سَاعَةِ غَضَبٍ فَانْهَالَ بِهَا عَلَى جَسَدِ وَلَدِهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ دُونَ رَحْمَةٍ أَوْ أَنْاةٍ، وَأَصَابَهُ بِدَوَامِ الْمُعَانَاةِ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الْإِنْدِفَاعِ الْمَجْنُونِ وَرَاءَ إِرْوَاءِ غَلِيلِ النَّفْسِ، وَلَا يَحْسَبَنَّ إِنْسَانٌ أَنْ فِعْلَهُ ذَلِكَ غَيْرُ مُحَاسَبٍ عَلَيْهِ أَوْ مُسَاعِلٍ عَنْهُ، بَلْ هُوَ فِي كِتَابٍ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ؛ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ،

فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتِ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلَامِ، فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِ أَبِي مَسْعُودٍ)).
فَانْقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلِنْتَمَلَّ فِي وَاقِعِ أَخْلَاقِنَا وَسُلُوكِنَا مَعَ أَنْفُسِنَا وَأَوْلَادِنَا، وَلِنَعُدَّ إِلَى أَخْلَاقِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ ﷺ، لِنَأْخُذَ مِنْهُمَا المَثَلَ العَلِيَّاءِ، وَنَبْتَعِدَ عَنِ سَفَاسِفِ الأخْلَاقِ وَمَسَاوِي الأَعْمَالِ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي وَلِكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** **

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الإنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَهَدَاهُ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، وَزَيَّنَهُ بِالأَخْلَاقِ الكَرِيمِ، وَنَشَّهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَّهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الأنبياءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ النِّفْسَ الإنسانِيَّةَ بِمَا فِيهَا مِنْ قابِلِيَّةٍ لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ لَتَحْتِمُ عَلَى صَاحِبِهَا أَنْ يَسْعَى لِمَلَاكٍ أَمْرَهَا؛ حَتَّى لا تَدْفَعَهُ آلامُ الحَيَاةِ وَسَيِّئُ ظُرُوفِهَا إِلَى الوُقُوعِ فِي الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ، وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَسَلَّحَ بِذِكْرِ اللَّهِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ وَقَايَةَ وَصِيانَةَ، فَفِي ذِكْرِ اللَّهِ طُمَأْنِينَةٌ لِلنِّفْسِ البَشَرِيَّةِ، وَصِيانَةٌ لَهَا مِنَ الأَفْعَالِ الدُّنْيَا، فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبْتَانِ، وَأَحَدُهُمَا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ ﷺ: إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ؛ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ))، وَالمُؤْمِنُ مَوْعُودٌ بِأَجْرِ عَظِيمٍ إِنْ احْتَسَبَ كَظْمَ انْفِعَالَاتِهِ، وَتَحَكَّمَ بِمِشَاعِرِهِ وَنَزَوَاتِهِ، يَقُولُ ﷺ: ((مَنْ

كَظَمَ غَيْضًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ)).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو إِلَى تَنْمِيَةِ عَوَامِلِ الْخَيْرِ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِحَمَلِ النَّفْسِ عَلَى التَّحَلِّيِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهَا؛ حَتَّى تَكُونَ سَجِيَّةً مِنْ سَجَايَاهَا، يَقُولُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: ((وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا))، فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى مُتَحَرِّيًا أَحْسَنَ الْأَخْلَاقِ، جَاهِدًا لِإِزَالَةِ الطَّبَاعِ الذَّمِيمَةِ عَنِ شَخْصِهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، فَمَنْ أَرَادَ شَيْئًا طَلَبَهُ، وَمَنْ أَلْحَ فِي طَلَبِهِ سَهَّلَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَهُوَ خَيْرُ قَاضٍ لِلْحَاجَاتِ وَمَيْسِرٌ لِلْمُعْسِرَاتِ، يَقُولُ ﷺ: ((مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ))، فَطَلَبُ التَّعَفُّفِ يُورِثُ الْعِفَّةَ، وَطَلَبُ الْغِنَى النَّفْسِيَّ بِالْقَلِيلِ يُورِثُ الرِّضَا.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ -، وَالتَّزَمُوا جَمِيلَ الْأَخْلَاقِ، وَتَأَسَّوْا فِي ذَلِكَ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ، وَاعْلَمُوا أَنَّ رُفِيَّ الْأُمَّمِ وَتَقَدَّمَهَا مَعْقُودٌ بِحُسْنِ أَخْلَاقِهَا. هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلَيْنَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ

(١) سورة الرعد / ١١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ أَلَّا تَكُنَّا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.